قصة كردية

ملحمة قرية منسية

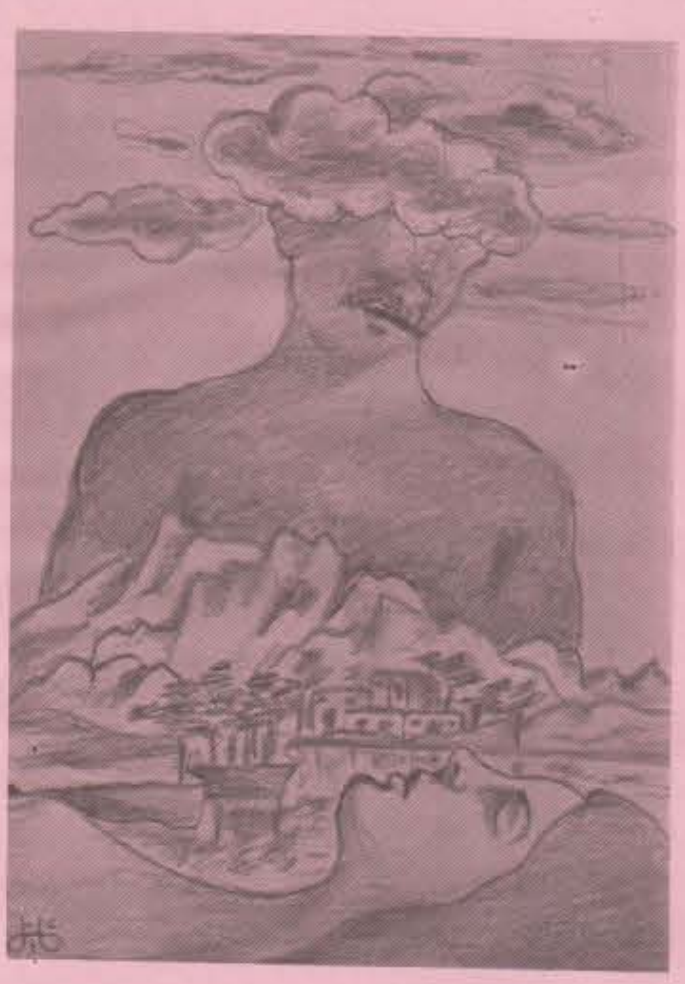

قصة : غفور صالح عبدالله
ترجمة : محمد صابر محمود

إن هذا المكان ، الذي نصطلح على تسميته بـ (القرية) مجازاً، يحتمل ـ بكل ماتحمل الكلمة من معان ـ الا يكون (قرية) .. إذ من الجائز ان يكون مدينة، بلداً، او اقليماً من الاقاليم .. لذا، فنحن، حينما نطلق عليه اسم (القرية)، إنما نفعل ذلك كي تأخذ الاحداث مسارها، بشكل محكم، مكثف، ومتماسك. مثل لوحة تشكيلية، تتجلى مجسمة داخل إطارها. إذا ارتأينا رسم خارطة لهذه القرية، على قصاصة من الورق؛ لتراءت ـ دون عناء ـ على هيئة ثعبان قصير، وغليظ..

تكتنفها مجموعة من الجبال الوعرة، العنود، وتحيط بها من جهاتها القريبة، والبعيدة، إحاطة السوار بالمعصم .. حتى أن ابنية بعض المنازل، تتسلق اعالي المرتفعات لتستقر فوق القمم، او تتحدر على جوانبها، وحافاتها .. وهي لصيقة ببعضها البعض، ولا يفصل بينها سوى عددٍ من الطرق، المتعرجة، الرفيعة، ذات مسالك وعرة ..

هنالك نهران، يقسمان القرية الى اقسام ثلاثة : اولهما : يشق طريقه من الجانب الشرقي لها، ويستمد مياهه، من بضعة ينابيع، تتفجر من تحت خراشيم[1] الـ ـال .. والآخر، يتخذ مساره من شمالها الغربي زاحفاً، من بين ـعاب تلك الجبال المتوعرة .. ومن ثم يتوزع كلا النهرين، الى عدة جداول صغيرة تتفرع داخل القرية .. أما الفائضة من مياه تلك الجداول، فانها تجرف معها صنوف العلل، والاشجان، وتكتسح غصص الآلاف من القلوب المحطمة، الكسيرة، التي ارمضتها لواعج الهوى،

واضنتها لوعة العشق، ومن ثم تدينها بـأنات المحـرومين، من سكان القرية، حاملة اياها، مسـافرة بهـا، عبر بحـار العالم، ومحيطاته .. والذين يقطنون القرية، فالكثرة الكاثرة منهم؛ اما من الفلاحين، والحصـدة المأجـورين، او هم من رعاة البقـر، والمـاشية .. ومـا يتبقى منهم، فانهم، امـا منشغلون بحـرفـة السكافة، وترقيع الاحذية او انهم من العمال الاجراء ..

ان تاريخ انشاء هذه القرية، موغل في القـدم جداً، او انـه بالاحرى ـ يشكل لغزاً من الالغاز الغامضة، طالما اوقع اعداء قاطنيها في مهامه الريبة، والحيرة، والتردد .

يرى البعض، أن ثمة جماعات،من القبائل المتنقلة الرحـل، والتي انحدرت قبل ميلاد ـ المسيح ـ ببضعـة آلاف سنة، من امـاكن نـائيـة، وجهـات قصيـة ـ هي التي قـامت ببنـائهـا، فاستوطنتها، بعدما اوصلت بنفسها الى هنا ..

بالرغم من كونها عانت الكثير، من مصائب الزمان، وويلاته، ومن خطوب الدهر، ونوائبه، حيث ديست ـ مئات المرات ـ تحت سنابك خيول الرومان،او آلت الى خرائب، وانقاض من لدن سلالة (كـورش) .. حتى أن (هولاكـو) بالذات، قـد جرب حـظه فيها ايضاً .. غير أن هذه القرية، صمدت أمام عاديات الزمن صموداً، لامثيل له؛ فخرجت من كل تلك المحن، والشدائد، وهي اصلب عوداً، واشد عناداً .. إذ بقيت مأهولة بساكنيها الذين خلفوا ـ بدورهم ـ الآلاف من الابناء، والاحفاد الذين، لم ينسوا ـ يوماً ما ـ مآثر آبائهم، واجدادهم .

* * *

كان ذلك صبيحة أحد الايام، واذ كنت تتفيـأ ظلال مقهاك القروي، حين صارحت الخال (هيمەت)، بما يختلج في صدرك؛ فقلت له، وابتسامة غاضبة، ترتسم على شفتيك : «ربما اضطررت الى إغلاق المقهى .. لنعيش بعد ذلك على الكفاف، حتى يـأتينا الفرج، بهمة المشايخ، والأولياء الصالحـين، ويفتح الله علينـا ابواب رحمته» . إلا ان الخال (هيمەت) ـ لضعف في باصرتيه، فقد كان منكفئاً الى الارض، مطأطئاً راسه، وهو يرسم بمحجنه على رملتها خارطة مستقبله، ومستقبل ساكني القرية ـ تساءل :

«مـاخطبـك يا (مـەمەنـد) .. وهل جـد من جديـد !؟ .. أم أن (جنگيزخان) قد بعث من قبره ثانية ؟ .. ليعودوا، ويقطعوا عنا مياه الشرب، كما كانوا ينفعلون في سالف الازمان !؟ .. او اخشى انك قد استبدبك السأم، ودب فيك الملل، وتزمع ان تبارح القرية، وترحل عنها، لتهيم على وجهك !؟ .. إياك ان تنخدع .. إن طيشاً مثل هذا سوف لن تكون عاقبته غير العض على بنان الندم .. انك انت وهذه القرية كلاكما صنوان، لاتطيقان العيش دون بعضكما البعض .. حتى الطيور، تراها، تؤوب الى الامكنة التي تفقست فيها عن البيضة لأول مرة ..». عندئـذ اجبته، وقـد فاض بـك اليأس : «اية ارض هي تلك التي تستطع احتواء إرحيلي، وتهيامي على وجهي ؟.. وهل من قرية اخرى، تطيق احتضـان اعاصـير حقدي، وغضبي ؟ .. إن هذه القرية هي قطعة من كياني !، ولست انا سوى فلذة من هذه القرية ! .. مامن قـرية عـلى وجه هـذه البسيـطة بقادرة عـلى ان تبل جـراحات الشجـون القـديمـة، والجديدة ؟.. وايمـا نسمة من هـواء، باستـطاعتها ان تـدخل الطمأنينة في صدري الموغرة بالنقمة، والضغينة ؟ ..

لكنهما (خەزال) لما تزل على قيد الحيـاة، وينبغي ان احمل لأجلها عصا التـطواف، لأنشق ـ مرة اخـرى ـ عبير وجنتيهـا الورديتين .. وانت من تكون يا (هيمەت) !؟ إنك لست سوى كتلة من الذكريات، والحكايات لكنك مكتوف اليدين. ليس بامكانك ان تتوصل الى نتيجة ما ! .. حال جلوسك، تستحيل سجلاً يحفـل بـالاحداث الداميـة، والاقتتال، والخـراب .. إنك تخفي ـ بـين جوانحك ـ قائمة باسماء الفرسان البسلاء، والابطال الشجعان، دون ان تستطيع عمل شيء ما، سوى ان تنفث همومك، بما تذرفه أعماقك من دموع» .

بابتسامة شبه غاضبة، أردف (هيمەت) : «وماذا بعـد ؟..». بعد ان مسدت بيدك لحيتك التي وخطها الشيب قلت : «يقولون :

إن السكر، والشاي، قد حظر بيعهما، مرة أخرى» . «أوهوهوو.. عدنا ـ ثانية ـ الى تلك المعزوفة القديمة!» . ثم اضاف (هيمه‌ت) بابتسامته المعهودة : «طب نفساً، واطمئن، فما دام المهربون، يصولون، ويجولون، فان الشاي (السنكين)، سون لن ينقطع ابداً، وسيكون في متناولنا على الدوام». خف و جيب قلبك، فاشتعلت سيجارة. راح دخانها يتصاعد، ثم يلتف، ويتجمع فوق هامة رأسك، ومن هناك كان يبدأ بالانتشار رويداً رويداً، ثم يتلاشى . وكنت انت ايضاً، تتشتت بتشتته، اينما تفرق وتتلاشى، ثم لاتلبث ان تعود الى نفسك، وتستجمع وعيك ..

من اللحظة التي انقطعت فيها أخبار (خه‌زال)، وصارت أثراً بعد عين، كنت دائم التردد على ضفة احد النهرين .. صباح كل يوم كنت تذهب اليه، لتبترد بمائه البارد، وتخفف من غلواء القلق الذي تكتوي به أعماقك، ثم تغسل به وجهك. بعدها كنت تعود ادراجك، من حيث اتيت، حتى تصل امام باب مقهاك الكئيب. ذلك المقهى الذي، يضم بين حناياه ـ منذ سنوات ـ بسقفه المتداعي، وجدرانه الخربة المتهاوية ـ يأسك، وبؤسك، جاعلاً اياهما سراً عظيماً، بالاضافة الى كونه مأواك الذي يقيك شر التشرد في الطرقات .. هناك كنت تجلس القرفصاء مولياً وجهك شطر سلسلة الجبال، ولا سيما ذلك الجبل الذي هو اشبه ـ في مهابته ـ بأنسان ضخم الجثة، وقد تحجر في مكانه، وهو يرنو اسيان ـ بعينين مسبلتين ـ وكأنه عاشق قديم، قد توله في حب معشوقته، ففاضت نفسه حسرة، وتحجر، وهو يبث عتابه للقرية .. كنت تتكوم على نفسك، مكوراً جسدك، جاعلاً من ركبتيك سنداً تسند به رأسك المشدوه. لم تكن تنبس ببنت شفة. وكمن ينتظر الاستماع الى إحدى سيمفونيات (شوپان)، هكذا كنت تصيخ السمع لأصوات اسراب الحجلان، في الصباحات الباكرة. هذا الانتظار المميت، كان يضيف الى همومك، هموماً جديدة يثقل بها كاهل حظك العاثر، لأن تلك الاقباج ـ ومنذ اختفاء (خه‌زال) ـ هجرت هي ايضاً أماكنها، وهامت على وجوهها، فلم تعد تتقرب من هذه القرية . مهما كنت تبذل من مجهود، فلم يكن باستطاعتك التوصل الى كنه هذا السر المخيف . إبان تلك الفترة، وابتداءاً من اطلالة الربيع الاولى، والى نهاية فصل الخريف، سرعان ما كنتما تهبان من نومكما على نغمات اوتار اصواتهن، عند انبلاج اول خيط من ضياء الفجر، فتسترخي ساعداكما عن احتضان بعضكما البعض، ثم كنتما تشرعان ـ بنشاط ـ في اعداد انفسكما، لتطيلا في عمر سعادتكما، وحياتكما الرخية، على ضوء إشراقة نهار اكثر جدة، وبهاءاً .

لو صادف ـ ذات صباح ـ ولم تصل (مارشات) أصواتهن، الى مسامعكما، عندئذ كنتما تظلان نائمين حتى الضحى، وتبعاً لذلك كانت جميع اعمالكما تتأخر. بالرغم من ان هؤلاء الناس البلهاء من اهل قريتك يتقززون من الاقباج، إلا انك لم تكن تأبه لهذه الترهات، والاباطيل، وقد اعرتها ـ دوماً ـ اذناً صماء، لأن هذه كغيرها من الاقاويل الكثيرة، الفارغة الاخرى، هي من مخلفات عصور غبرت، وقد عفا عليها الزمن . مغرماً كنت بتلك اللحون، مفتوناً بايقاعاتها المنبعثة من حناجرهن : «قاسپه قاسپ ـ قاسپه قاسپ ـ قاسپه قاسپ ـ قاسپه قاسپ) .. إذ لم تكن لتبدلها بجميع انغام سيمفونيات الدنيا. إن قريتك هذه لهي مأهولة باصوات (الاوركسترا) الصادرة عنهن. لقد اصبحن سمة بارزة من سمات صمود هذه المناطق ورواسيها الشاهقة الوعرة ..

كثيراً ما كنت تردد : «الطيب لايؤخذ بجريرة الخبيث» . منذ ذلك اليوم الذي غدا فيه مصير (خه‌زال) مجهولاً أخذت تصرفاتك تتبدل مع اهل القرية، وتسير من سيء الى اسوأ. كنت ـ في اكثر الاوقات ـ تتورط في نزاعات، وشجار، مع الفتيان، والشباب، بالرغم من انك، ومذ وطئت قدماك ارض القرية، واستقر بك المقام فيها ـ لم يصادف ان جرحت شعور أحد، او ان احداً، قد رأى منك مايشين، أو بكلمة أخرى، لم يسمعوا منك ـ قط ـ لفظة نابية، ولا عرفوا فيك، غمازاً تطعن في عرض أحد .. كنت ـ دوماً ـ قليل الكلام، لاتبارح البسمة محياك، ديدباناً، ترعى الصغير قبل الكبير، مهتماً بمشاكل الجميع دون استثناء .. غير انهم ـ الآن ـ تتملكهم الحيرة، وتستبد بهم الدهشة . لايعلمون من ايما ارض ينبع بحر غضبك هذا !.. وحالما كانت نار غضبك تخبو، كنت تنزوي في احدى زوايا المقهى، وتحشر نفسك فيها. عندئذ كان اطفال القرية، يهرعون اليك، من كل حدب، وصوب فيتجمعون حولك .. خلل تصفيقهم المتوالي، كانوا يطلبون منك بالحاح ان تقص عليهم، ماجرى لـ (وه‌يسه)، و (چاوره‌ش) من احداث، لان

مامن احد في ارجاء المنطقة كلها كان ملماً ـ مثلك ـ بتفاصيل تلك الكارثة المؤلمة التي الت بهما، وما من احد سواك كان ذا حنجرة ذهبية صداحة، من الاعماق .. في آخر الامر كنت تذعن للامر الواقع، فترفع احدى يديك، الى شحمة اذنك، ثم تغيب عن وعيك :

«ويح نفسي، لهول الكارثة ..
ويا لعظم الفجيعة، بفتى الفتيان !،
بنمر الهضاب، وشبل الاسد الرابض
في شعاب الجبال !!.
لهف نفسي، على ذي العمامة ،
المائلة، الملطخة بالدماء ! ..
واهٍ على الهامة المهيبة ،
المجندلة بلا جدثٍ ،
ترتمي في العراء .. »

صغاري الاعزاء :

ان هذه المناطق ذات الهضاب المتوعرة، والاغوار السحيقة المخيفة، أردت الكثير من الوعول، والاشبال. وان هذه الصحراوات، والوديان، والاجمات، رزئت بالمفجع من ويلات التاريخ، ومصائبه فسجلت، لوحدها العديد من الكوارث، والنكبات. لكن اولئك الذين نقشت اسماؤهم على شغاف افئدة الكثيرين من امثالنا، فان التاريخ، قد قلب لهم ظهر المجن، وكامرأة خائنة داعرة، ادار عليهم ظهره، ساخراً مستهزئاً .. إبان ذلك العهد الذي كنا فيه صغاراً، كان نجم الخيالة (الحميدية)، قد اوشك على الافول. في إثر اولئك، كانت هذه المناطق باسرها، تعج بالانگليز، المتتبعين لآثارهم، وتضج تحت وطأة (پساتيلهم) الثقيلة .. مامن مكان، او منعطف، الا وكان يئن تحت سنابك خيول مرتزقتهم، وقد اصبحت ظهور القرويين البؤساء من سكنة المنطقة، حقولاً تجرب فيها سياط هؤلاء، واسنة حرابهم. لم تبق من امرأة، ولا من صبية، الا وقد اتشحت ـ عشرات المرات ـ بثياب الحداد .. مامن امرأة عفيفة، طاهرة، الا وتخدش جيدها، بسفافيد مشافر هؤلاء. كم من المواشي، والدواب امتدت اليها ايديهم، بالتقتيل، والتسميم، وكم من رجل خير صالح راح ضحية التشريد، والمطاردة.

كم من الاطفال الرضع اغتصبوهم من امهاتهم، ليلقوا بهم فريسة لكلابهم البوليسية .. لم يبق ثمة من ركن في منزل أو مأوى، الا وقد عاثوا فيه، واعملوا يد التخريب، والهدم في اركانه، حتى تحولت كلها الى خرائب، وانقاض ينعق فيها البوم .. ولكن كما يقول المثل، فان الظلم مرتعه وخيم، وللظالم يوم، لابد ان يقع فيه تحت طائلة العقاب ..

(وه يسه)، ذلك الفتى الشهم. ابن الفلاح الذي لفحته شمس (گه رميان)[٢] المحرقة. الفارس المغوار، وصقر الجبال .. ولو ان إبنة عمه (چاوره ش)، كانت خطيبته، الا ان الحزن حينما يكبر في نفوس العشاق، ويكبر حتى يصبح بقدر مملكة، عندئذ يفقد جمال المرأة، وشذى عطرها، طعمها، فتغدو اجمل النساء، وابهاهن مجرد ومضة من ومضات النفور، والضجر ..

لأجل ذلك، شق الفتى (وه يسه) عصا الطاعة، والتجأ الى الجبال، كي يأخذ بثأر هؤلاء البؤساء، والمنكوبين، وينتقم لهم من الجناة.

لسنوات عديدة ـ ظل يلازم الغزلان في البراري، ويستأنس بالوعول على متون الهضاب، والجبال، حتى تمكن ـ ببسالته النادرة ـ من ان يرد كيدهم الى نحورهم، ويوقفهم عند حدهم، فأرغمهم على العودة ـ مثل الفئران ـ الى جحورهم المظلمة، ومن ثم الجم افواههم، ايضاً.

إذاك تنفس اهل هذه المناطق ـ الصعداء، وانتعشت آمالهم، فسرى في نفوسهم نسغ الانعتاق من جديد .. كل ليلة كان ينزل بالقرية، متخفياً تحت جنح الظلام، فتقر عيناه بلقيا حبيبته (چاوره ش)، حيث يبقى بجانبها حتى ينبلج الفجر. غير ان المرتزقة من الاغوات، كانوا يتحينون الفرص للايقاع به، والقضاء عليه. إذ كانوا على علم بتلك الزيارات التي اعتاد (وه يسه)، ان يقوم بها ليلياً، فاخذوا يدبرون له المكائد .. وقد مهدوا لمكائدهم تلك بان لفقوا ضده لدى السلطات تهم العصيان، وقطع الطرق .. بعد ذلك شرعوا يبثون اراجيفهم هذه في جميع انحاء المدن .. ما ان تم لهم ما ارادوا حتى بدأوا بتنفيذ جريمتهم النكراء، وذلك بالسطو على دار احد كبار الانگليز، ومن ثم الصاق التهمة به ..

..ذات صباح، وحين كانت عيون اهل القرية المرهقين، لما تزل يخالطها الكرى، واذ كان (وه يسه)، وحبيبته (جاوره‌ش) ـ في تلك الساعة ـ يرشفان من كؤوس الغرام في محراب عشقهما الذي تلظى اواره، إذا بالجيش، يداهم القرية الناعسة بغتة، ويحاصرها من كل جانب، فتتعذر كل فرصة للنجاة .. تشتت الناس جميعهم من الفزع، فغدوا وكأنهم اسراب من العصافير المذعورة، تتماوج في مهب الاعاصير، والامطار، والثلوج ..

مقلتا (جاوره‌ش) اللتان خمد فيهما الضياء، امستا تختلجان في تلك اللحظة، لميتة عشق، وقد انطفأت فيهما ومضة النور.. وعلى حين غرة، دوت أصوات البنادق الرشاشة، ولعلعت في الآفاق، فامتلأت ارجاء القرية برائحة الدم، والبارود. واذا بجثة (وه‌يسه) تجرر مضرجة بالدماء.

يزعم البعض بان الشخص الذي كان يجر جثة (وه‌يسه) قد تحول شق من جسده في السنوات الاخيرة ـ الى خنزير، وكان الناس يطلقون عليه لقب (سعيد الخنزير)، شماتةً به .. مرة اخرى خلا الميدان للمتجبرين، والمرتزقة من الاغوات، ومن لف لفهم، فاستعادوا سيطرتهم من جديد .. ومن ثم طفقوا يلهبون، ظهور القرويين، بسياط القهر، والاذلال مرة ثانية.

« طليقة هي الظباء ، والحجلان ،
تسرح دونما رقيب ..
وفتى الفتيان (وه‌يسه) مجندل
وقد صمتت بنادق (البرنو) .
منذ ذلك الحين ، خرست قيثارة
وقع خطى (جاوره‌ش) المغناج ،
وهي تمشي الهوينا ، على طريق النبع
بمقلتيها الثملتين ، بخمرة الجمال ..
لقد اقسمت ، برفات (وه يسه) ،
بقبره ،
لامزقت ، ثوب الحداد ،
ولا لطرف كحلت ،
ولا رنت ، عين لها .. لفتى
حتى ترى ، فتيان قريتها ،
قد ادركوا ، ثاراته ، وآنتقموا
من كل (آغا) ، ومرتزق .. » .

* * *

(خه‌زال) هي أريج السهول الخضر، والحقول الندية اليانعة. هي ملاذ جراحاتك القديمة، والجديدة. إنها تاريخ عنادك في الماضي، ووقارك في المستقبل. إنها عنوان بسالتك ورجولتك، وجوهر حريتك، وصمودك الانساني. هي الجرح، والابتسامة، والدمعة، والاجهاشة، وهي الشهيق، والشجن، والطمأنينة في دنياك.

لاهي بقادرة على الحياة بدونك ، ولا انت لك ظل من الوجود بدونها .. رغم كونها ومن مدة طويلة ـ غائبة عن دنياك، غير ان كليكما تهيمان وراء بعضكما البعض، دون ان يكون في مقدور اي واحد منكما العثور على الآخر .. إذن هيا، ينبغي عليك ـ من الآن فصاعداً ـ أن تشمر عن ساعد الجد، لتصنع من معاناتك اكليلاً لرفع معنوياتك، ومن خطاك افراساً مجلية في حلبات البحث والكفاح حتى يجتمع شملكما وتقرا عيناً باللقاء، ثانية، كسابق عهدكما ..

في تلك الظهيرة التي اغير فيها على قريتك، كنت مضطجعاً تحت شجرة الجوز الحائلة[7] .. تحدق ـ بمقلتيك المطفأتين ـ ممعناً في الطريق الرفيعة قبالتك. كان هذا ديدنك يومياً. وحالما كانت تلوح هي لناظريك، كل ماكان مختزناً في كيانك من رهق، ومن نصب كان يشرع بالطيران، مصفقاً بجناحيه مثل يمامة برية . وانت ايضاً، مثقلاً باتعابك كنت تصفق بجناحيك، طائراً في اثرها ..

جسدك باسره كان يستحيل كتلة من المشاعر، والحب الالهي، تعلو فتعلو، لترتفع صوب قطع السحاب العابرة في سماء صيفية ..

أجل .. في قيظ تلك الظهيرة المشؤومة، بالذات دوي القذائف، والبنادق الرشاشة، هو الذي نفر اسراب الطيور، وبث الذعر في قلوبها، وكمثل تلك الطيور المذعورة ساد في الناس الارتباك، ودب فيهم الذعر، والهلع، فتشتتوا أيدي سبأ، فأخذ كل رهط منهم

يلوذ ـ على غير هدى ـ بغابة ، او مغارة جبلية ..

تحولت في مكانك الى شجرة من أشجار الجوز، فانتصبت واقفاً، وقد استحال قلبك بين ضلوعك، عصفوراً، مذبوحاً يتلوى من الالم .

عند المساء ذاع نبأ اختفاء (خەزال) في انحاء القرية والقرى المجاورة الاخرى .

زعم البعض بانها هي التي اختارت ـ بمحض ارادتها ـ ان ترافق أولئك الذين داهموا القرية، فقررت الذهاب معهم. غير ان البعض الآخر كان ينسج الرواية على النسق الآتي : إنها وبعد ما آستبيحت، وهتك عرضها، أزمعت ان ترحل، وتهيم على وجهها، وسوف لن تعود ـ ثانية ـ قبل ان يثأر لشرفها المثلوم ...

«نعم .. إن (خەزال) قد رحلت، وهامت على وجهها، وانتهى الامر.. وانك يا (مەمەند)، ومنذ تلك اللحظة، ينهش كيانك القلق، ولا يقر لك قرار. ما من سكة، او درب، الا وقد ذرعتها، طولاً، وعرضاً، مراراً، وتكراراً.. وما من باب الا وتكون انت اول طارقيه ..

والآن، وقد كتب عليك، الا تزور قريتك الا لماماً، وكأنك عابر سبيل ..

ما أن كنت تصل الى مشارف القرية، حتى كان الاطفال الصغار، يستقبلونك، بالصياح، طالبين منك ان تروي لهم، ماجرى لـ (وەيسه)، و (چاوەش) بصوتك الصداح الشجي ...

قبل رحيلك، وتهيامك على وجهك وراء (خەزال) طفق ذلك السرب من الحجلان، وأخذ يعاود ـ ذات صباح ـ مطارحة القرية غناءه، من على اعالي القمم، ونواصي الجبال، بصوته العذب (قاسپه قاسپ) مرة اخرى، فغمرت البهجة قلوب أهل القرية، من جديد ..

وللمرة الاخيرة ، عندما نزلت بقريتك، خف العم (هيمەت) لاستقبالك، بمنتهى النشاط، والحيوية، وكأنما كان في عنفوان شبابه، وبادرك قائلاً : «منذ أن غادرت القرية، ورحلت عنا، أخذ الهزال يدب في اجسام اطفال القرية، حتى بانت عظامهم من تحت جلودها .. تعاف نفوسهم الطعام .. يجفو الرقاد اجفانهم .. تراهم ـ في كل يوم ـ قابعين في الطرقات من الصباح الباكر، والى وقت متأخر من النهار، وهم ينتظرون ـ بفارغ الصبر ـ عودتك بصحبة (خەزال) .

إن قريتنا هذه آهلة بكما. لن يتمكن شخص آخر من العيش فيها، لأن عظام آبائكما، وأجدادكما قد غدت سماداً لتراب هذه الارض» .

أي (مەمەند) .. يقال : في احدى المرات، وفي طريق تطوافك، وتجوالك بحثاً عن (خەزال)، تصدى لك ـ في احد المخافر الحدودية ـ بعض الجلاوزة الضخام، من ذوي الشوارب المفتولة، فقيدوك، من يديك، ثم عصبوا عينيك بأحكام ! .. وهكذا، ومنذ ذلك الحين، تملأ الشائعات كل ركن من اركان القرية وقد طفت على كل مايسود فيها من ارتباك، وقلق ! !. والاطفال بدورهم كانوا اثناء انهماكهم في اللعب يرددون هذه الاغنية :

« (چاوەش) ، و (خەزال) ،
كلتاهما شقيقتان ..
تضفران عقائص الانتظار ،
لأياب (وەيسه) ، و (مەمەند) الشقيقين .
سوف يؤخذ بثارهما ، لامحالة ..
اما نحن .. فعندما نشب عن الطوق ،
فاننا سوف نقتدي بهما ،
وسنحيل الزمن الى دمية ،
يلعب بها الصغار .. » .

وفي كل مرة ، كان الخال (هيمەت) بدوره، يلتحق بجموع الاطفال، حيث يطوفون في ازقة القرية .

* * *
*
*

القصة منشورة في العدد الاول من مجلة (الاديب الكردي) لشهر آذار ١٩٨٥

(١) خرشوم الجبل : أنف الجبل .
(٢) المقصود بها : البلاد الحارة .
(٣) شجرة حائلة : لاتثمر .